ذكرى ميلاد

واحدٌ من ركّاب تلك البوسطة

رسالة مفتوحة إلى فيروز

في الحادي والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر من كل سنة، لا وقت عندكِ لفتح الرسائل المزدحمة بالبطاقات، طالما ان طوابع البريد، في بلداننا العربية، مختومة بالدم. لا تفتحين باب حديقتكِ سوى لعصافير ازدحمت للإلقاء تمنّياتها لكِ بعيد ميلاد سعيد

ميشرافي عبد الودود

سيّدتي،

من حسن حظّ طفولتي الفقيرة في حيّ شعبي، أنني تعرّفتُ على صوتكِ بالصدفة المحضة، تماماً كما تعرّفتُ في حيّ البسطة البيروتي على عالم الموسيقى والأغاني، من خلال مذياع الجيران، الذي لن يتوقّف، لاحقاً، عن بثّ أغانيكِ منذ الصباح الباكر. سعيدٌ، بلا شكّ، أن ما حدث معكِ حدث معي، عندما كنت أجدني وحيداً في البيت، بسبب ذوغان أمّي للجلوس مع باقي الأمّهات على العتبات، برفقة صوتكِ الذي أشفق على وحدة الطفل الذي كنتُ، زارعاً فراغها بشموسه وأقماره وبيّاراته، لإعفائها من عذاب الاستماع طول الوقت للباعة المتجوّلين بعربات الخضر، ينادون على البطاطا والجزر والكرنب والباذنجان، بفظاظةٍ أصواتهم المطوطة التي كانت تذرع الأزقّة بحرّية، مخترقةً جدران البيوت، لتذكيري في كلّ لحظة بضجري في الداخل. لكن بمجرّد تعرّفي على نبراتكِ الصوتية، التي ترقّق حروفها أرغفةٌ طازجة ملفوفة للتوّ من فرن بلدي، وتخلط بُنّها الصباحي بتوابلها السرّية، تحوّلتُ على الفور نهاراتي الشاغرة إلى مضاءات ماهولة بأبجديتك النورانية التي صار فيها الصوت وحده المعنى والمبنى. وكان مذياع الجيران يستريح بين أغنية وأغنية للتذكير باسم المغنية، ليظلّ اسم «فيروز» يتردّد، في أذني كلّ مرة، عنواناً عصيّاً على النسيان، بزركشته السماوية المحفورة بالبُنّي الأرضيّ المحبّب. كائنا أبقيتِ، كتذكار حيّ من طفولة الفتاة الوديعة نهاد حداد، على هذا الحجر الخجول وحده الذي عثرتِ عليه ربما، لمّا كنت تجمعين الحجارة الملوّنة أثناء جولاتك المعتادة في ضيعة الجدة. وبسبب وجود الفاء والياء في أوّل هذا الاسم، ظلّت تُرسم بلا نهاية ملامحُ الوجه في مخيّلتي، فيءُ شجرة تنتصب في بداية العراء كمحطة أخيرة، ملوّنة خفيف ظلالها المنبسطة بفرشاة أجنحة العصافير الوافدة والمغادرة من الجهات الأربع للضوء. عندما سافر أخي الأكبر إلى الخارج لإكمال الدراسة، ترأفت حياته الجامعية رغم ضيق ذات اليد، بإرسال حقيبة صغيرة من الهدايا للعائلة رفقة مهاجر قديم من الجيران. وكان من بين الهدايا مذياع مستعمل لا يزال بحالة جيدة، ماركة المانية عتيدة، تشاجرنا أنا وأخي على حيازته، ولّما علت اصواتنا، تدخّلت الوالدة وأخذت الجهاز المشغّل ورفعته بيدها عالياً، صائحةً: «هذا الراديو هدية للعائلة كلها، وليس من حقّ أحد!». وبقي المذياع مرفوعاً في يدها لحظة غير قصيرة، مُشعِلاً على نفس المحطة، وخَيّل إلينا، بينما كنا نرفع عيوننا المندهشة، كأننا أخطأنا بانانيّتنا وغبائنا في الرغبة بامتلاك ترجمان الأثير. ثم وضعتْ الجهاز على الرف بهدوء، وانفرجت أسارير وجهها عن ابتسامة عميقة موارية قبل أن تقول: «علام تتشاجران أنتما الاثنان؟ متى تستمع انت إلى فيروز؟ متى تستمع أنت الآخر إلى أم كلثوم؟ بخجل أجبنا في أن معاً بنفس الصوت الخافت: «بالنهار! . بالليل!»، وبدا أنّ كلماتها لا تفضّ شجاراً عرَضيّاً على المذياع بقدر ما تلملم انقسام الشقيقين بين الصوتين بمسحة سريعة من حنانها: صوت أم كلثوم الذي كان ينحاز إليه أخي وصوتك الذي أحبّه، ولأن عدد ساعات الليل يساوي عدد ساعات النهار، ظلّ هذا الراديو على الرفّ، يذيع، بالتساوي أيضاً، فيروزيات صباحاتكِ وسهرات أم كلثوم.

السيدة فيروز في حفل عام 2006 (Getty)

واقتنع الأخوان المتشاجران أخيراً بأنّ لا داعيَ لهذه المشاجرات على اختلاف الليل والنهار، طالما أنّ صوتكِ الفيروزي المُنْشَقّ بطبيعته إجراساً من البقظة المنبّهة الدائرة على المتململين تحت خيمة النهار المفتوحة من كلّ الجهات، والصوت الكلثومي المرجعيّ نافذة تضيء ليل الساهرين ومرضى الأرق تحت سقوفهم الإسمنتية. والفرق بين اليقظة والأرق، بوجود الفارق الكبير بين ضوء النهار وضوء الكهرباء، يجعل المقارنة مستحيلة بين الصوتين. لأن تطريب أم كلثوم تعطيلٌ للزمن من أجل الوقوف على الأطلال، وإيقافٌ لأهاته المتتالية المتسلطنة، على المسافة بين المدينة والضيعة جملة موسيقية تختصرها أغنيتك

طريقتك الأثيرة في تهريب النهارات المولودة للتوّ برفصاتها

انتشاءِ ماضويّ مستعاد، لا يني يتحسّر على أفوله، منذ المطالع الأولى للقصائد. بينما صوتكِ المدينيّ ـ أنت البيروتية . تشغيلاً لهذا الزمن الغنائيّ الحاضر ولو كان غائباً، وتعاقبَ لإيقاعاته الهذّارة الآتية وقيْد الإتيان في آنٍ معاً، على نفس الوتيرة المتسارعة، وتيرةِ الإيقاع الجُبراني الذي «ينثر ما تَنْظُمه الحياة وينْظُم ما تنثره». حتى عندما تسترجعين لحظة انتظار الحبيب العابرة تحت المطر، لا يسرد صوتكِ ذكرى هذا الانتظار، إلّا باعتبار هذه الذكرى حاضراً فوْرا مستمرّاً يستعصي على المرور والتكرار رغم السنين، وإصراراً بلا هوادة على تفجير الحبّ الباقي من وراء الصيف والشتاء، بشكل ملحميّ عاطفيّ آخّاذ، كما في أغنية «بأيام البرد والشتي» دائمة الصّيْت. لأنه إيقاعُ النثر المِيني الجانح في أقصى ذروته إلى الانتظام في سطر شعري، متسلسل، طويل، كسكّة الحديد، متجاوزاً العمران إلى ريفٍ لبناني متمدّن نوعاً ما، يوجد على الضواحي والأطراف، لا يحضر كخلفيّة للزينة أو للحنين، بل كامتداد للشجر والحجر والبشر، ما يوحي دائما بأن المسافة بين المدينة والضيعة جملةٌ موسيقية مؤشّرة، كعلامات الطريق، تختصرها، برشاقة وخفة، أغنيتك المترحّلة في الأبهاء. وبينما واصل أخي الاستماع إلى أم كلثوم ليلاً، بشكل فرديّ مذْنِب قليلاً، مواظباً على أخذ حصص الأرق الإضافية التي أضرّتْ بعمره الإعداديّ، واصلتِ تعليمي . بصرامة الأخت الكبيرة والمترفّعة في آن معاً . بالاستماع كلّ صباح إلى صوتكِ، بشكل جماعيّ مُبهِج، رفقة العائلة والجيران، كمُلْتحقٍ جديد بطليعة الكشفيّة الرحبانية في أعلى الجبل، للتدرّب، أوّلاً، قبل تعلّم أبجدية الانتماء إلى الإنسان والوطن، على اختبار الاستيقاظ مبكّراً لتلقّف انفاس الحرّية المنعشة برئة سليمة. وكنتُ كلّما تقدّمتُ شوطاً جديداً في الاستماع إلى صوتكِ المنبّه، يتلو بنبرات نواقيسه المفجّرة سِفْر يوميّاتنا، المدوّنة، ببراعة، بتفاصيلها الدقيقة والفائقة، بشكل غير مسبوق في مدوّناتنا الغنائية العربية، كلّما تقدمتْ ربع ساعة إضافية، بالتبكير في الاستيقاظ والتحفّز والنشاط، إلى أن استقرّ جرس صباحي على الخامسة

(كاتب من المغرب)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إطلالة

محمد طَرَزي عائد من حكايات زنجبار

شرق أفريقيا في روايتين لبنانيتين

ونحن لا نزال في الحديث عن عبد الرزاق قرنح وأصوله الحضرمية، لم يخطر لي أنني سألتقي في صور، بلبنان، بالروائي محمد طرزي، العائد من هناك

عباس بيضون

لم أكن سمعت بالروائي التنزاني عبد الرزاق قرنح قبل أن يفوز بـ«جائزة نوبل للآداب». لكنّ كوننا لم نسمع باسمه لم يمنعنا من أن نحتفي بأصله الحضرميّ. لقد فاز بـ«نوبل» أديبٌ هو، من حيث لم تحتسب الأكاديمية السويدية، ولم يحتسب العالم، وربما لم يحتسب هو، ذو دم عربي. هكذا احترنا بين تنزانية عبد الرزاق وحضرميته وإنكليزيته. يكتب قرنح بالإنكليزية ويعيش في إنكلترا، وليس الإنكليزي الوحيد الذي يتحدّر من أصل غير إنكليزي، فثمة مروحة من الأدباء الإنكليز الذين يحملون أسماء أجنبية. نذكّر بأن الأديب الإنكليزي الذي نال «نوبل للآداب» مؤخّراً، كازو إيشيغورو، من أصل ياباني، كما نذكّر بسلمان رشدي الهندي الأصل، ونور الدين فارح الصومالي.

بيد أن فوز قرنح بـ«نوبل» استحضر بقوّة شرق أفريقيا، المنطقة التي تضمّ، إلى جانب تنزانيا، أوغندا وكينيا ورواندا وجنوب السودان. أمّا ما يتّصل باسم قرنح وأصله الحضرمي، فهو من زنجبار التي كانت، إلى وقت، جزءاً من الإمبراطورية العُمانية، التي يحكمها إمامٌ إسلامي. استُعيد شرق أفريقيا، وزنجبار منه، في سيرة قرنح وموضوعات رواياته، بيد أنه لم يخطر لي أنني سألتقي . ونحن لا نزال في الحديث عن قرنح وزنجبار . في لبنان، في مدينة صور، بمحمد طرَزي، العائد من زنجبار. لم يخطر لي أنني سألتقي هكذا بروائي شاب (1983)، هو الآخر يستمدّ موضوعات رواياته من شرق أفريقيا. تحمل رواياته «ماليندي» (2019) و«عروس القمر» (2021) اسمَيْ ماليندي وموهيلي الموجودتين في شرق أفريقيا، كما تحمل الروايتان ما يمتّ إلى تاريخ المنطقة، بل وما يستعيده ولو بالخيال الى جانب الواقع. الروايتان الأنفتان هما من تاريخ يجمع العرب والملغاش والسود، ويحضر فيه العالم الكولونيالي الفرنسي الإنكليزي البرتغالي المتنازع على المنطقة، كما يحضر فيه، من قريب أو بعيد، التاريخ العالمي آنذاك.

«ماليندي، حكاية الحلم الأفريقي»، عنوان الرواية، يستعيد الحلم الأميركي، وليست أميركا التي، على كل حال، هي بعيدة عن ماليندي، الدويلة الإفريقية الغائرة في التاريخ. بل العالم كله ليس بعيداً عن ماليندي التي لا نعرفها إلا بالاسم. ماليندي هي هذه الدويلة الأفريقية الإسلامية التي تضمّ عرباً وملغاشاً وسوداً، بل وتضمّ إلى جانبهم يهوداً، فهي الموطن الجديد ليهود الفلاشا الإثيوبيين الذين طُردوا من الحبشة.

في ماليندي سنواجه الصراع العالمي على أفريقيا. لكنّنا في مجالس شيخها سنسمع السجال عن كُروية الأرض، وفيها سنلتقي بابن ماجد، الملّاح العربي الشهير، وبفاسكو دي غاما، المستكشف المعروف، وسنسمع بكريستوف كولومبوس واكتشاف أميركا. سنعثر . مع ابن ماجد، وسيف ابن حاكم ماليندي . على الهند. اي أننا من «ماليندي» سنكون في وسط العالم، وسنكون، في ذات الوقت، وسط المجتمع الشرق أفريقي بسوده وعربه وملغاشيه. رواية طرَزي، لذلك، مفاجئة. إنها تبني على التاريخ وتبني على الخيال الذي يبتكر ما يشبه أن يكون تاريخاً. في مطلع رواية «ماليندي» يقول طرَزي إنه يبني روايته على ثلاث مخطوطات مفقودة ونادرة، ولا نعلم كيف تكون المخطوطة مفقودة ونادرة في ذات الوقت. أمّا المخطوطات الثلاث، «المفقودة والنادرة»، فواحدة منها لابن ماجد: «خزينة الأسرار في قواعد علم البحار»،

مثل قرنح، يستمدّ محمد طرَزي موضوعاته من شرق افريقيا

محمد طرَزي

والثانية هي «الحروب الصليبية كما لم يرها العرب» لقاضي القضاة العلّامة أبي المنصور الصقري. نتذكّر هنا كتاب أمين المعلوف «الحروب الصليبية كما رآها العرب»، ونفهم أن هذه المخطوطة المزعومة هي مجرّد استعادة بالمقلوب لكتاب معلّوف، وأنها لذلك محضُ اختراع على هذا نتساءل عمّا في الرواية من تاريخ حقيقي وتاريخ مزعوم يتشبّه بالحقيقة، بل يمكن القول إن المتشبّه بالتاريخ يبدو تاريخاً أكثر من الأصل التاريخي نفسه. إذ إن رواية محمد طرَزي تبدو، من حيث الشكل، محاذية تماماً للتاريخ، بل توعز بأنها حكاية تبني على التاريخ وتصدر عنه.

(شاعر وروائي من لبنان)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

متابعة

تونس للكتاب آذان غير صاغية

المعرض وأرائكه المريحة

بدأت موجة انتقادات ضد المعرض من قبل «المقصيين» من قائمة ضيوفه، ثمّ لم يلبث ان امتدّ حبل الانتقاد إلى الضيوف الذين حاضروا أمام قاعات فارغة

تونس ـ **ليلى بن صالح**

بقيتْ ساعاتٌ قليلة وتُختتم الدورة السادسة والثلاثون من «معرض تونس الدولي للكتاب»، التي انطلقت في 11 من الشهر الجاري. تظاهرة انتظرها جمهور القراءة لسنتين، بسبب التأجيلات التي فرضتها جائحة كورونا وموجاتُها المتتالية، والذي عبّر عنه الحضور الجماهيري الكبير في بعض الأيام، تلك التي توافق نهاية الأسبوع تحديداً، إلّا أنّ معظم هؤلاء قد خرجوا غير مسرورين.

لا شكّ في أنّ «المعرض الدولي» هو مناسبة لحضور دور نشر عربية وأوروبية لا تتوفّر عناوينها في بقيّة أيام السنة، لكنّ نسخة هذا العام كانت إلى المحلّية أقرب، حيث كانت أغلبية دور النشر المشاركة بأجنحة تونسية خاصّة، وهو ما قلّص العرض أمام مَن يبحث عن كتب نوعية لا يجدها خارج المعرض، الأمر الذي يُفقد التظاهرة بالتدريج الكثير من إشعاعها.

لكنّ استياء الزائر لا يقف عند المعروضات، فله أن يستاء أيضاً من بعض المظاهر السلبية الأخرى مثل التوظيفات السياسية للمعرض، والتي تجلّت في ملصقه الذي يضع الدورة «تحت سامي إشراف رئيس الجمهورية»، وهو نوعٌ من العبارات التي باتت ذائقة المجتمع الثقافي تمجّها، وظهر ذلك على مواقع التواصل الاجتماعي بشكل جليّ.

هذه المواقع كانت أيضاً فضاءً لانتقاد البرنامج الثقافي، كالعادة، بدا الأمر مع مَن «أُقصي» من قائمة ضيوف المعرض، ومن ثمّ امتدّ إلى بعض هؤلاء الضيوف حين وقفوا على بعض الهنات في التنظيم أو وجدوا أنّهم يحاضرون أمام كراسٍ فارغة.

حول هذه النقطة، كان الروائي عبد الواحد براهم قد نشر تدوينة بعنوان «معرض الكتاب وتكرار الخطأ»، كتب فيها أن النشاط الثقافي للمعرض لم يحقّق المطلوب منه، ولا استقطب الجمهور المنتظر، معدّداً بعض الأسباب التي يمكن أن تفسّر ذلك، مثل التوقيت، وكثرة الفعاليات، ومواقع القاعات والمحاور التي تتطرّق إليها الندوات، إلخ.

يقول براهم: «تكرّرت هذه التجربة في كلّ الدّورات، ولم تحقّق سوى نجاح نسبيّ بسبب ظروف معيّنة. حديثاً دُعيت إلى ندوة مع خمسة من أعلام الثقافة والتاريخ في تونس جلسوا في أرائك مريحة ليواجهوا موقفاً غير مريح: قاعة فارغة. ونفس الأمر حدث في جلّ القاعات مع الرّوائيين والشعراء وغيرهم».

لعلّ صورة الأرائك المريحة التي التقطها الروائي التونسي تلخّص كلّ شيء، فالمعرض يبدو في جميع خياراته وكأنّه مرتاح لكلّ ما يقدّمه على الرغم من كلّ المؤشرات السلبية حوله، وكأنّ ثمة خطراً جسيماً في محاولة تغيير أي شيء، والنتيجة هي هذا التنفير الذاتي الذي بات يمارسه المعرض على مدى سنوات. وها إن سنة مثل 2021 كان من المفترض أن تكون إشباعاً للمتعطشين لعودة الثقافة، باتت دليلاً على فشل الثقافة الذريع في تونس، وهي في ذلك غير بعيدة عن واقع معظم المشهد الثقافي العربي.

على عكس حالة الاستياء حوله، يبدو المعرض مرتاحاً لكل ما يقدّمه

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

من المعرض

فعاليات

تنظّم «مؤسسة عبد الحميد شومان» في عمّان، عند السادسة والنصف من مساء الغد، جلسة حوارية افتراضية بعنوان **بيتٌ قارئ، بيت متعاطف**، حول أثر القراءة فردياً وجماعياً. تشارك في الجلسة الكاتبة **شهلا العجيلي**، والباحثة **اسيل الشوارب**، والكاتبة **رانية الكيلاني** (الصورة)، وتديرها الباحثة **رنا الحجاجي**.

عند السابعة من مساء بعد غد الثلاثاء، يستضيف «مركز خليل السكاكيني الثقافي» برام الله عرضاً لمسرحية **لائحة التهام**، التي جرت كتابتها وإخراجها بشكل جماعي، ويؤدّيها **خليل البطران**، و**لارا نصّار**، و**موسى نزّال**، و**يارا برغوثي**، و**عثمان علي**، و**عفاف اسدي**، و**غسان نداف**. يتناول العمل ما يتعرّض له الاسرى الفلسطينيون وعائلاتهم في محاكم الاحتلال الصهيوني.

تستمرّ حتى بعد غد الثلاثاء، في نوازي لو سيك قرب باريس، فعاليات الدورة العاشرة من «مهرجان الفيلم الفرنسي العربي». على برنامج اليوم عرض لفيلم **بحّار الجبال** للمخرج الجزائري ـ البرازيلي لـ**ريم عينوز**، وهو عمل وثائقي يتناول فيه بحثه عن جذوره وتفاصيل من المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي.

منّا درجة عنوان معرض النحّاتة اللبنانية **لينا حسيني**، المستمرّ في رواق «آرت هاوس» ببيروت حتى الاربعاء المقبل، 24 من الشهر الجاري. يحيل العنوان إلى معرض سابق للفنانة، «الدرجة الثانية» (2018)، وفيه استئناف لرؤيته التي تجمع بين التجريد والإيحاء الساخر، مع ميل مشترك إلى الالوان الحارّة.